

مجلد مقالات الانبا ساويرس  
البطريرك الأنطاكي

٦

# جُرن المعمودية

يوسف حبيب

عليه حبيب يوسف

في أثناء أيام الصوم المجيدة هذه ، نريد أيضا أن نذكركم بسبب الدخول للقدس في هذا المكان مرة واحدة في السنة عندما نحتفل ، على قدر الإمكان ، بتذكار اليوم الذي فيه حمل ربنا يسوع المسيح بإرادته في الجسد صليب الخلاص ، وأنه بعد أن دفن قام ، وأهلك بدفته الهي فساد القبور ، وخلع بنزوله في المناطق السفلى من الأرض مملكة الجحيم الخفية القاسية التي لم يمكن خلعها ، فإننا نظهر أنفسنا مقدماً أثناء الأربعين يوماً التي تسبق ذلك اليوم<sup>(١)</sup> ، بأن نصوم ونمتنع ليس فقط عن الأطعمة الخاصة بالمتعة التي تثمر عن الرهبات الشريرة ، لكن نصوم أيضا عن كل شر ، لكي نشترك في الذبيحة الطاهرة غير الدموية للحمل الذي يقدم قرباناً ، الحمل الروحي الإلهي ، لنعيد ليس بمغفرة حثيئة ولا بخميرة الشر والحث بل بتطهير الإخلاص والحق ، ( ١ كو ٥ : ٨ ) ولا نحمل شيئاً من الإنسان العتيق

(١) أن القديس ساويرس وهو باق هذا السؤال يشير إلى يوم القيامة المقدسة منبهاً سامعاً إلى الحرس واليقظ طول فترة الصوم للقدس ليستعدوا بمركات اليوم العظيم للهار اليه . ويشبه فيه بتسكريم يوم الأحد وفيه ذكر القيامة .

مقال القديس ساويرس عن الاستعداد لدخول جرن المعمودية  
ألقى القديس ساويرس هذا المقال في عشية بدء الصوم ،  
وكان قد أعلق بيت جرن المعمودية المقدس .

مترجم من الفرنسية من الكتاب الثاني من الجزء الثامن من مجموعة :  
Patrologia Orientales R. Graffin - F. Nau  
Les Homélie Cathédrales de Sévère d' Antioche  
ترجمه من السريانية وعصره  
Maurcie Brière

الذي دخل في الفساد ، وتبين بالاحداث ذاتها ، إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة . الاشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً ، ( ٢ كو ٥ : ١٧ ) . حتى أننا بذلك من الآن فصاعداً ، بصنعنا ذكر القيامة كل يوم أحد وبشكر يمتنا اليوم الذي يحمل اسم ربنا ومخلصنا ، تتمتع بنفس الدييحة سرات كثيرة وبطريقة دائماً جديدة ، ونظهر أنفسنا كذلك مقدماً في أيام التوبة والتطهير هذه قبل اليوم الذي جعل المسيح المطعون في جنبه بحربة الجندي ، الدم وماء الحياة يخرجان لنا وأصعد ينبوع المغفرة الذي يسيل بصفة مستمرة بعد ذهاب الروح وبعد موته المحيي . بالتأكيد ليس غريباً أن الذين يعتمدون في موت المسيح يلبسون الحياة .

لتكرم إذن هذا الينبوع الإلهي الذي جرى من خالق السموات ، الذي يعطي الحياة الابدية لمن يولد منه ويرتوي منه . لتكرمه بالتطهير الذي ذكرناه ، ونحن ننظر إليه دائماً بعين الروح ، حتى نصل في يوم القيامة بأقدام طاهرة مع المسيح ونسير في الطريق المسلك الذي لم يكن سلكه أحد وهو الطريق المتجدد دائماً ، ونذهب بنفس الروح . لأن كل الطرق التي تؤدي إلى

الحياة الآتية تمتاز بأنها لا تعرف الشيخوخة أو الفساد . يجب أن ننظر إلى اليوم الذي فتح فيه الجنب المحيي المضيء ، جنب المسيح ، وإلى يوم القيامة كأنهما يوم واحد ، ولو أنهما مختلفان . الماء والدم كانا في الواقع علامتين للقيامة ؛ لإنهما يعيران بوضوح إلى أن الذي تألم وكان مزمعاً أن يدفن ، من ناحية كان خليقاً أن يحسب ، كما يقول داود ، فقاط مع الذين ينزلون إلى الجحيم ، لكن ليس مع الذين يقولون فيه ، ومن ناحية أخرى يبين نفسه حراً من الاموات ويقوم لأنه الله الحي .

« حسبت مثل المنحدرين إلى الجب . صرت كرجل لا قوة له . بين الاموات فراشي مثل القتل المضطجعين في القبر الذين لا تكرم بعد وهم من يدك انقطعوا . وضعتني في الجب الأسفل في ظلمات في أحماق ، ( مز ٨٨ : ٤ - ٦ ) .

لنستعد إذن خشية البعد عن طريق المياه الحية ونظهر غير مستحقين كلية بعدم إكراهننا له بخطواتنا النجسة .

### الماء الحي

فا هو هذا الطريق الذي يؤدي إلى هذا الينبوع ؟ لقد أهلكه أشعياء النبي بعد أن أخذ عنه العكل والرمز قائلاً هكذا : « حينئذ تنفتح هيون العمى وأذان العم تنفتح . حينئذ يقفر

الأعرج كالإبل ويترنم لسان الأخرس لأنه قد انفجرت في  
البرية مياة وأنهار في القفر . ويصير السراب أجماً والمعطشة  
يأيسع ماء . في مسكن الذئباب في مريضها دار القصب والبردى  
وتسكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة . لا يعبر  
فيها نجس بل هي لهم . من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل .  
لا يكون هناك أسد . وحش مفترس لا يصعد إليها . لا يوجد  
هناك . بل يسلك المفديون فيها . ومفديو الرب يرجعون ويأتون  
إلى صهيون وترنم وفرح أبدى على رؤوسهم . ابتهاج وفرح  
يدركانهم . ويهرب الحزن والتهد . ( اش ٢٥ : ٥ - ١٠ ) .

ما هي إذن الأرض التي كانت أولاً صحراء بلا مياة لمجملت  
أخيراً خصبة بيبوع مياة حية ، ان لم تكن هي الكنيسة ؟ في  
البدء لم تكن أقدام الرب تطؤها وكانت محرومة من معرفته ،  
وكانت يابسة بسبب العطش الناتج من عبادة الأوثان . كانت  
تستقي من مياة الناموس أو من مياة الانبياء ، لكنها الآن  
أصبحت تفيض تماماً بيبوع لحم التجدد فإذا هي كتل بحر كبير  
جداً تتدفق فيه كل جداول إسرائيل الجزئية ، أهني نبوات موسى  
والنبوات المتعلقة بالمسيح .

يجب أن تربط هذا أيضاً بكلمة داود القائلة : « في الجماعات  
باركوا الله الرب أيها الحارجون من عين إسرائيل » ( مز ٦٦ : ٢٦ ) .  
في هذه الأرض اشتركت الطيور التي حلقت وطارت بواسطة الحياة  
الإنجيلية من الأعمال الأرضية حتى بلغت السماء . كانت أولاً بلا  
صوت فصارت أخيراً مثل الوحوش الأسطورية ذات الصوت  
الساحر <sup>(١)</sup> . ورنمت الجماعات بأقوال إلهية بنفس الطريقة التي  
أظهر بها معلمو الكنيسة الممتازون أنفسهم . هكذا أيضاً كان  
القديسون يمدون لذتهم في الخلة والزهد في الأشياء العسالية  
المادية . فبما أنتجت الأرض الغابات ، وتزينت بخواص  
الفردوس ؛ أنتج القديسون وكان إنتاجاً لضروب مختلفة من  
الحياة فيأثون بشمار مائة وستين وثلاثين . أنتجت الأرض أيضاً  
الغاب <sup>(٢)</sup> الذي يمكن أن تنفخ فيه وترنم التساييح .

+ + +

(١) وحوش أسطورية نصفها امرأة والنصف الآخر مصفورا أو سمكة .  
وكانت ذات أصوات حلوة ساحرة . « والسيرين » Les sirénes  
في الواقع نوع من الوحوش الأسطورية التي لها صوت رائع ، تننى كثيراً  
ويقال انها تحب سكنى الأماكن الجرداء .

(٢) يشير به إلى ثمار السمكة للزروعة في الأرض البعيدة .

متوكل . . ( أش ٢٦ : ٢ - ٣ ) . طريق الصديق إستقامة .  
تمهد أيها المستقيم سبيل الصديق . . ( أش ٢٦ : ٧ ) .

ليعطكم الرب نفسه، بعد أن تكونوا قد تهيأتم واستعدتم  
أن تتسألوا أيضاً الدخول إلى ملكوت السموات بسلام لأجل  
تمجيدته تعالى ! لأن له يليق التسبيح مع الآب والابن والروح  
القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين .



ترى أية نمار مصدرها من الذي روى الأرض القاحلة وهو  
ينبوع الحياة ؟ إن الطريق الذي يؤدي إليه مقدس وطاهر  
ولا يمكن الأسود وللذين يشبهون الحيوانات المفترسة النجسة  
أن يصلوا إليه بل أولئك الذين تطهروا واستناروا بالمعمودية  
المقدسة ، كانوا متفرقين وسط الشعوب ، لكنهم كانوا ينمون  
تحت نواويس وطادات مختلفة ، وقد اجتمعوا الآن بفعل النعمة  
والشركة في جسد المسيح الوحيد .

فلنطرد إذن من قلوبنا كل هوى الحيوان المتوحش أي تلك  
الريجات الحيوانية النجسة الخاصة بالأهراء السفلية ، والحطيف ،  
والنش نحو إخوتنا ، والسخط ، والغضب ، والمرارة ،  
والاساليب الجسمة ، والإهانة سواء كانت تؤذي الأذان أو  
تخرج من اللسان .

سمعت فملا أن الطريق طاهر ومقدس . إذا كنتم تسهرون  
فيه كما يليق وباستعداد، فإن أشعياء النبي ذاهب من جديد لقائكم  
بهذه الكلمات المقدسة ، يهنئكم على إستعدادكم ، ويدفعكم حتى  
المدخل بتهنئته إذ يقول : « افتحوا الأبواب لتدخل الأمة  
البارة المحافظة الأمانة . ذو الرأي الممكن تحفظه سالماً لأنه عليك